

ظاهرة إنسانية أو غيبية). ولنأخذ حالة متناهية في البساطة مثل كلمة «ماء»: الكلمة قد تشير إلى السائل المعروف بهذا الاسم ذي التركيب الكيميائي المعين. ومع هذا، فإن استخدام هذا الدال ليس أمراً بسيطاً. فالدال جزء من النظام اللغوي المستقر، أما المدلول فينتهي إلى الواقع الطبيعي المتغير، ولذا نجد أن العلماء لا يقنعون بكلمة ماء (التي لها إحياءات كثيرة) ويتحدثون عن H_2O ، فمثل هذه الصيغة المجردة تشبه التجربة المضبوطة. وإذا انتقلنا إلى حالة الظواهر الإنسانية، فإن الأمر يصبح أكثر تركيباً. فإن قلنا: «هذا الرجل خائف»، فإن كلمة «خائف» هنا عامة للغاية، ولا تنقل لنا المنحنى الخاص لخوف هذا الإنسان. وإن تحدثنا عن «خوف الإنسان من المجهول» أو عن «ارتباطه بمثله الأعلى» أو عن «صراع الخير والشر داخله»، فنحن هنا نتحدث عن عناصر غير محدودة لا يمكن أن تُردُّ إلى العالم المادي، أي أن المسافة بين الدال والمدلول تأخذ في الاتساع، وهي مسافة لا يمكن سدها بأية حال. فالإنسان في جانبه الإنساني الرباني (لا الطبيعي/ المادي) متعدد الأبعاد، متجاوز للنظام الطبيعي/ المادي، لأنه يحتوي على عناصر لا يمكن أن تُردَّ إلى هذا النظام (عناصر ربانية). ولذا، فإن اللغة العلمية المحايدة المباشرة (في مقابل الأدبية) والتي تنقص فيها المسافات بين الدال والمدلول (كأن تقول «هاتان تفاحتان حمراوان» على أن تكون التفاحتان أمامك أو عند أطراف أصابعك)، واللغة الجبرية التي تنعدم فيها المسافة (كأن تقول أ+ب). لا تصلحان للتعبير عن المواقف الإنسانية المركبة. وإذا أرادت اللغة التعبير عن فكرة «الله» و«الغيب»، فإن المسافة تتسع وتوسع.

والمسافة لا يمكن عبورها، ولكن يمكن تقريبها وتحويلها إلى مجال للتفاعل عن طريق المجاز، الذي يوسع من نطاق اللغة الإنسانية، ويجعلها أكثر مقدرة على التعبير عن الإنساني المركب واللامحدود. يتم هذا عادةً عن طريق ربط المجهول بالمعلوم، والإنساني بالطبيعي، والمعنوي بالمادي، واللامحدود بالمحدود، وهو ربط لا ينجم عنه مزج عضوي بينهما وإنما تحويل الواحد منهما إلى طريقة لاستكشاف الآخر، إذ تظل المسافة بينهما، قائمة رغم عملية الربط بينهما. ولنضرب بعض الأمثلة: